حكايات
الأطفال
بقلم
كامل كيلاني
عنقود العنب

مكتبة الأطفال

بقلم

كامل كيلانى

(. . وكُتُب « كامل كيلانى » : نفحةٌ من نفَحاتِ
الفِطرَةِ الأولى للأطفال ، تُحبِّب إليهم القِراءة ،
وتجذِبُهم إليها ، وتُقرِّبُ ميولَهم .. يقرؤُها الذكَرُ والأنثى ،
فلا يشعُر واحدٌ منهما بإيثارٍ ولا استِيثار . .
قرأتُ هذه الكُتُبَ ، وأنا شيْخٌ كَبيرٌ ؛ فنقلتْنى إلى ذلك
العالَمِ الجميلِ ، الذى يتمنَّى مِثْلِى أنْ يعودَ إليه : عالَمِ السَّذاجةِ
والغَرارةِ ، والبَراءةِ والطَّهارةِ . . ورجعَتْ بى إلى فصْلِ
افْترار الحياةِ عن مَباسِمِها ، وإقْبالِ الآمال على مواسمِها . .
فوَدِدْتُ لو انحدرْتُ - فى سُلَّمِ الحياةِ - إلى ذلك العَهْدِ ،
ثم صعِدتُ بإرشادِ كُتُبِ « كيلانى » إلى رأسِ السُّلَّم ،
حتى أقضِيَ ما بَقِيَ لى من العُمرِ فى الصُّعودِ والانحِدارِ ،
لِيُبْنَى عقْلِى بتلك اللَّبِناتِ الثمينةِ ، ويتجدَّدَ طبْعِى مُنَقَّحًا
- فى كلِّ مرَّةٍ - تنقيحًا « كِيلانِيًّا » عبقَرِيًّا ..)

محمد البشير الإبراهيمى

شيخ العلماء الجزائريين
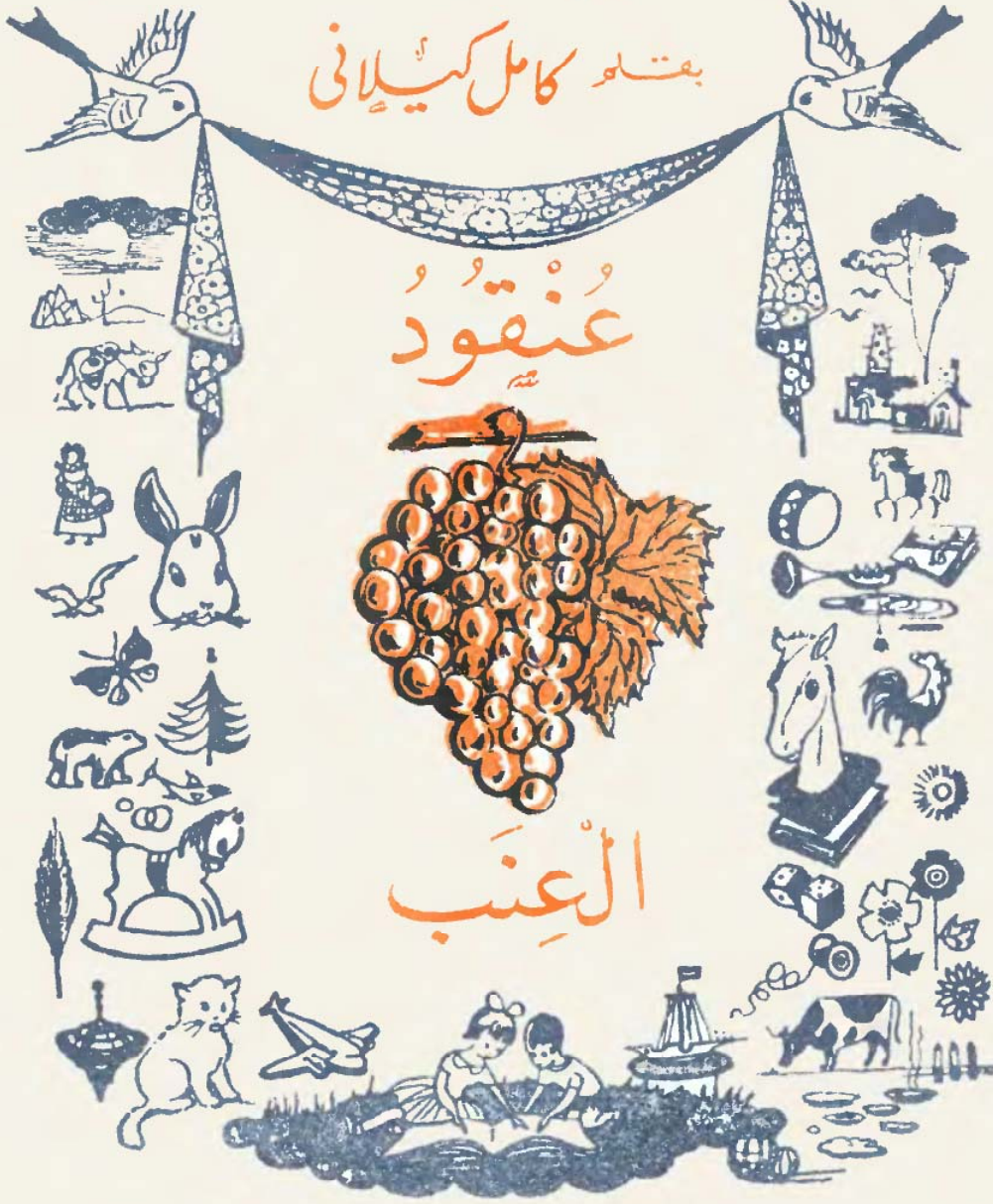
دار مكتبة الأطفال . القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل

﴿ فاتِحَـــةٌ ﴾

أَبْنائِي الأَعِزَّاء .. بَناتِي العَزِيزاتِ .

مُعْظَمُ الأُسَرِ تَتَـأَلَّفُ مِنْ وَالِدَيْنِ ، وَما يَرْزُقُهما اللهُ مِنْ بَنِينَ وَبَناتٍ .

وَأَهَمُّ عُنْصُرٍ يَضْمَنُ لِلأُسْرَةِ سَعادَتَها ، هُو أَنْ تَعِيشَ فِي ظِلالِ الأَمْنِ وَالطُّمَأْنِينَةِ وَراحَةِ البـــالِ .

وَلَنْ تَتَوافَرَ تِلْكَ الصِّفاتُ الغالِيَةُ ، إِلَّا إِذا شَعَرَ كُلُّ فَرْدٍ فِي الأُسْرَةِ بِأَنَّهُ عُضْوٌ فِي جَسَدٍ ، هُوَ : كِيانُ الأُسْرَةِ .

بِهٰذا الشُّعُورِ الكَرِيمِ ، سَيَحْرِصُ كُلُّ فَرْدٍ فِي الأُسْرَةِ ، عَلَى أَلَّا يُسَبِّبَ لِبَقِيَّـــةِ الأَفْرادِ ما لا يَرْتاحُونَ إِلَيْهِ .

أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الحَيـاةِ الكَرِيمَةِ ، هِيَ الدَّرَجَةُ الَّتِي يُحِبُّ فِيها كُلُّ فَرْدٍ لِغَيْرِهِ مِنْ أَفْرادِ الأُسْرَةِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ؛ فَلا يَسْتَأْثِرَ بِشَيْءٍ دُونَ مَنْ تَرْبِطُهُ بِهِمْ رابِطَةٌ مُشْتَرَكَةٌ ..

يَظْهَرُ هٰـــذا الشُّعُورُ جَلِيًّا ، حِينَما تَنْشَــأُ حالَةٌ تَدْعُو إِلَى التَّفْكِيرِ فِيها ، وَماذا يَكُونُ التَّصَرُّفُ مَعَهـــا ؟

إِذا عَمَّ الحُبُّ وَالإِخْـــلاصُ وَالتَّعاوُنُ أَفْراد الأُسْرَةِ ، كانَ مِنَ السَّهْلِ حَلُّ أَيَّةِ مُشْكِلَةٍ تَعْرِضُ لِلأُسْرَةِ فِي حَياتِها .

اقْرَءُوا هٰذِهِ القِصَّةَ ، لِكَيْ تَطَّلِعُوا عَلَى مِثـــــالٍ لِذٰلِكَ ، جَدِيرٍ بِأَنْ يَكُونَ قُدْوَةً كَرِيمَـةً ، وَأُسْوَةً حَسَنَةً .

١ — بَيْتُ « سَعِيد »

هٰذا : بَيْت سَعِيد . . .

بِهٰذا الاِسْمِ يَعْرِفُهُ الجِيرانُ وَأَهْلُ الحَيِّ ؛ لِأَنَّ صاحِبَ الْبَيْتِ اسْمُهُ « سَعِيدٌ » ؛ وَكَذٰلِكَ لِأَنَّ السَّعادَةَ مُتَوَفِّرَةٌ فِي هٰذا الْبَيْتِ ، فَهُوَ حَقًّا بَيْتٌ سَعِيدٌ .

السَّيِّدَةُ « سَلْمَى » هِيَ سَيِّدَةُ الْبَيْتِ ، وَهِيَ تَعْرِفُ واجِباتِها وَتُؤَدِّيها أَحْسَنَ أَداءٍ ، فِي نَشاطٍ واهْتِمامٍ .

تَعْتَنِي بِزَوْجِها الأَبِ « سَعِيدٍ » ، وَلا تَتْرُكُهُ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ مِنْ شُئُونِ الْبَيْتِ ، فَكُلُّ شَيْءٍ مُرَتَّبٌ وَمُهَيَّأٌ عَلَى أَجْمَلِ نِظامٍ .

وَالسَّيِّدَةُ الأُمُّ كَذٰلِكَ تَرْعَى ابْنَتَها « أَنِيسَةَ » ، وابْنَها « فِكْرِي » ، وَهُما يُطاوِعانِها فِي كُلِّ ما تَنْصَحُ بِهِ : يُقْبِلانِ عَلَى الْمَدْرَسَةِ ، وَلا يُهْمِلانِ دُرُوسَهُما . كَذٰلِكَ هُما يَحْتَرِمانِ أَباهُما ، وَيَسْتَمِعانِ لِإِرْشادِهِ ، وَلا يُخالِفانِ لَهُ أَمْرًا ، وَيَعِيشانِ أَحْسَنَ عِيشَةٍ فِي بَيْتِ سَعِيدٍ .

٢ – حَدِيقَةُ الْبَيْتِ

السَّيِّدَةُ « سَلْمَى » أُمٌّ عَظِيمَةٌ وَسَيِّدَةٌ كامِلَةٌ .

وَمَعَ أَنَّ بَيْتَها صَغِيرٌ اسْتَطاعَتْ مَعَ زَوْجِها الأَبِ « سَعِيد » أَنْ تُنْشِئَ فِيهِ حَدِيقَةً صَغِيرَةً لَطِيفَةً ، لِـكَيْ يَتَمَتَّعَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَنْظَرٍ جَمِيلٍ ، مَنْظَرِ الخُضْرَةِ والزُّهُورِ ، وَلِـكَيْ يَشَمُّوا رائِحَةً طَيِّبَةً ، رائِحَةَ الْوُرُودِ والرَّياحِينِ .

وَعَلَى مَرِّ الأَيَّامِ ، أَصْبَحَتِ الْحَدِيقَةُ نامِيَةً ، فِيها أَصْنافٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنَ الزَّهَراتِ النَّاضِرَةِ ، وَالثَّمَراتِ النَّاضِجَةِ .

وَقَدْ أَحَبَّ « فِكْرِى » حَدِيقَةَ الْبَيْتِ ، وَكَذٰلِكَ أَحَبَّتْهَا أُخْتُهُ « أُنِيسَةُ » ، وَأَصْبَحَ كُلٌّ مِنْهُمَا يَأْتَنِسُ بِالْجُلُوسِ فِيهَا لِلْمُذَاكَرَةِ ، أَوْ لِلرَّاحَةِ وَالتَّمَتُّعِ بِالْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ ، وَالْجَوِّ اللَّطِيفِ .

وَأَحْيَانًا يَحْضُرُ أَصْدِقَاءُ « فِكْرِى » ، أَوْ صَدِيقَاتُ « أُنِيسَةَ » ؛ فَيَقْضُونَ وَقْتًا طَيِّبًا يَتَبَادَلُونَ فِيهِ الْأَحَادِيثَ وَالْفُكَاهَاتِ الْمُسَلِّيَةَ .

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ كُلَّهُمْ يَشْتَرِكُونَ فِي خِدْمَةِ الْحَدِيقَةِ ، وَيُسَاعِدُونَ عَلَى أَنْ تَبْدُوَ مُنَظَّمَةً تَشْرَحُ الصَّدْرَ ، وَيَقْضُونَ فِيهَا وَقْتَ الرَّاحَةِ وَالِاسْتِمْتَاعِ .

الْجَمِيعُ يُحِبُّونَ الْحَدِيقَةَ ، وَيُحِبُّونَ الْعَمَلَ فِيهَا ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى أَنْ تَنْمُوَ وَتُنْبِتَ نَبَاتًا حَسَنًا ، وَتَجِدُهُمْ فَرِحِينَ جِدًّا حِينَ يَرَوْنَ زَهْرَةً تَفَتَّحَتْ ، أَوْ غُصْنًا ظَهَرَ . لَقَدْ أَصْبَحَتْ حَدِيقَةُ الْبَيْتِ جُزْءًا مِنْ حَيَاتِهِمْ ، فِيهِ تَرْفِيهٌ وَتَسْلِيَةٌ ، وَفِيهِ إِنْعَاشٌ لِلنُّفُوسِ .

٣ – عُنْقُودُ الْعِنَبِ

فِي صَبَاحِ يَوْمٍ ، نَزَلَتِ الْأُمُّ « سَلْمَى » بَعْدَ أَنْ أَتَمَّتْ شُئُونَ الْبَيْتِ ، إِلَى الْحَدِيقَةِ الْحَبِيبَةِ ، لِتُؤَدِّيَ لَهَا ما يَلْزَمُ مِنَ السَّقْيِ وَالتَّنْظِيفِ .

وَلاحَتْ مِنْها نَظْرَةٌ إِلَى عَرِيشٍ صَغِيرٍ لِلْعِنَبِ ، أَنْشَأَتْهُ فِي الْحَدِيقَةِ ، وَتَعَهَّدَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ كُلُّهُمْ ، يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقْطِفُوا مِنْهُ عِنَبًا لَذِيذًا عَنْ قَرِيبٍ .

فَرِحَتِ الْأُمُّ « سَلْمَى » فَرَحًا شَدِيدًا ، لِأَنَّها فُوجِئَتْ بِأَنَّ قِطْفًا مِنْ قُطُوفِ الْعِنَبِ النَّاشِئَةِ قَدْ نَضِجَ ، وَسَبَقَ جَمِيعَ الْقُطُوفِ الْأُخْرَى ، فَأَصْبَحَ لَوْنُهُ مائِلاً إِلَى الصُّفْرَةِ ، وَحَبَّاتُهُ شَفَّافَةً رَقِيقَةَ الْقِشْرَةِ .

وَسَأَلَتِ الْأُمُّ نَفْسَها : « هَلْ أَتْرُكُ الْعُنْقُودَ النَّاضِجَ فِي عَرِيشِ الْعِنَبِ ، حَتَّى يَحْضُرَ أَفْرادُ الْأُسْرَةِ ، لِيَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، وَلِيَشْتَرِكَ الْجَمِيعُ فِي قَطْفِهِ ؟ »

وَكادَتِ الأُمُّ « سَلْمى »

تَنْصَرِفُ ، صاعِدَةً إِلَى الْبَيْتِ

وَتَتْرُكُ الْعُنْقُودَ فى عَرِيشِ الْعِنَبِ ،

انتِظارًا لِحُضُورِ

أَفْرادِ الأُسْرَةِ

وَلٰكِنَّها فَكَّرَتْ قَلِيلاً ، ثُمَّ قالَتْ :

« سَأَقْطِفُ هٰذا الْعُنْقُودَ ، وَأُفاجِئُ بِهِ أَهْلَ الْبَيْتِ .

وَسَيَفْرَحُونَ بِرُؤْيَتِهِ أَشَدَّ الْفَرَحِ »

٤ — لِمَنِ الْمُنْقُودُ ؟

ذَهَبَتِ الْأُمُّ « سَلْمَى » ، فَغَسَلَتْ عُنْقُودَ الْعِنَبِ غَسْلًا جَيِّدًا ، وَوَضَعَتْهُ فِي طَبَقٍ نَظِيفٍ ، وَهِيَ تَنْظُرُ مُعْجَبَةً ، كَأَنَّها تَنْظُرُ إِلَى عِقْدٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ النَّفِيسِ .

وَكانَ أَوَّلُ الْحاضِرِينَ إِلَى الْبَيْتِ ابْنَتَها « أَنِيسَةَ » .

فَلَمْ تَسْتَطِعِ الْأُمُّ « سَلْمَى » أَنْ تَكْتُمَ الْخَبَرَ عَنْها ، فَقالَتْ لَها : « احْزِرِي ... ماذا تَظُنِّينَ أَنْ أُفاجِئَكِ بِهِ ؟ »

فَقالَتْ « أَنِيسَةُ » : « إِنَّكِ دائِمًا تُفاجِئِينَنا بِكُلِّ ما يَسُرُّنا ، ماذا عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ جَدِيدٍ ؟ »

فَقالَتِ الْأُمُّ : « لَقَدْ بَدَأَ عَرِيشُ الْعِنَبِ يُعْطِي ثِمارَهُ الْيَوْمَ نَضِجَ أَوَّلُ عُنْقُودِ عِنَبٍ . »

وَأَحْضَرَتِ الأُمُّ « سلْمَى » الْمَفْقُودَ . .

فَمَا كَادَتْ « أَنِيسَةُ » تَرَاهُ ، حَتَّى أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تُقَبِّلُهُ ، وَتُشْبِعُ نَظَرَهَا مِنْهُ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ ثَمَرَةٍ طَيِّبَةٍ مِنْ عَرِيشِ الْعِنَبِ .

وَقَالَتِ الأُمُّ : « إِنَّهُ بَيْنَ يَدَيْكِ ، فَتَصَرَّفِي فِيهِ كَمَا تَشَائِينَ . ، وَسَتَنْضَجُ فِي الأَيَّامِ الْقَرِيبَةِ الآتِيَةِ عَنَاقِيدُ كَثِيرَةٌ ، بِإِذْنِ اللهِ . »

٥ – حَدِيثُ الأَخَوَيْنِ

بَعْدَ قَلِيلٍ ، حَضَرَ « فِكْرِى » أَخُو « أَنِيسَةَ » .

وَقَبْلَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى الْبَيْتِ ، دَخَلَ الْحَدِيقَةَ يَجُولُ فِيها جَوْلَةً ، وَوَقَفَ أَمامَ عَرِيشِ الْعِنَبِ يَتَأَمَّلُ ، وَظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهِ الدَّهْشَةُ : لَقَدْ أَدْهَشَهُ أَنَّ عُنْقُودًا مِنْ عَناقِيدِ الْعِنَبِ النَّاشِئَةِ قَدِ اخْتَفَى . . فَأَسْرَعَ بِالصُّعُودِ إِلَى الْبَيْتِ ، لِيَعْرِفَ سِرَّ اخْتِفاءِ الْمَفْقُودِ .

وَلَقِيَتْهُ أُخْتُهُ « أَنِيسَةُ » ، فَقَالَتْ لَهُ بَعْدَ أَنْ حَيَّتْهُ تَحِيَّةً طَيِّبَةً : « سَأُفاجِئُكَ بِشَىْءٍ يَسُرُّكَ . »

فَقالَ لَها : « قَبْلَ كُلِّ شَىْءٍ ، أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ : كَيْفَ اخْتَفَى مِنْ عَرِيشِ الْعِنَبِ عُنْقُودٌ ؟ »

فَعَجِبَتْ أُخْتُهُ مِنْهُ ، وَقالَتْ لَهُ : « هَلْ أَدْرَكْتَ أَنَّ مَكانَهُ خالٍ فِى عَرِيشِ الْعِنَبِ ؟ »

فَقالَ لَها : « هَلْ تَظُنّينَ

أَنّي لا أَعْرِفُ كُلَّ ما

يَجْرِي في الْحَديقَةِ .

إِنّي مَشْغُولٌ بِمُلاحَظَةِ

عَناقِيدِ الْعِنَبِ النّاشِئَةِ ،

أُراعِيها يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَقَبْلَ صُعُودي الآنَ

لاحَظْتُ اخْتِفاءَ عُنْقُودٍ مِنْ هذِهِ الْعَناقِيدِ . »

فَقالَتْ « أنِيسَةُ » :

« هٰذِهِ هِيَ الْمُفاجَأَةُ الَّتِي كُنْتُ أَنْتَظِرُ أَنْ أُفاجِئَكَ بِها .
رَأَتْ أُمِّي هٰذا الْعُنْقُودَ قَدْ نَضِجَ ، وَهِيَ تَسْقِي الْحَدِيقَةَ
فِي الصَّباحِ ، فَقَطَفَتْهُ . وَسَأُرِيكَ إِيَّاهُ . »

وَسُرْعانَ ما أَحْضَرَتْهُ ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مَسْرُورًا ، وَقالَ :
« هٰذِهِ أَحْسَنُ بُشْرَى . سَنَأْكُلُ هٰذا الْعامَ عِنَبًا
مِنْ غَرْسِ أَيْدِينا ، بِفَضْلِ اللهِ . »

فَقالَتِ الْأُخْتُ : « لَقَدْ أَعْطَتْنِي الْأُمُّ الْعُنْقُودَ ،
لِأَتَصَرَّفَ فِيهِ كَما أَشاءُ ، وَأَنا أُحِبُّ أَنْ أَخُصَّكَ بِهِ . »

فَشَكَرَ لَها « فِكْرِي » عاطِفَتَها الْأَخَوِيَّةَ الْكَرِيمَةَ ،
وَقالَ لَها : « بَلْ هُوَ لَكِ ، لِأَنَّكِ أَوَّلُ مَنْ حَضَرَ
إِلَى الْبَيْتِ ، وَتَلَقَّى الْبُشْرَى . وَسَأَنْتَظِرُ الْعُنْقُودَ الَّذِي يُنْضِجُهُ
عَرِيشُ الْعِنَبِ بَعْدَ ذٰلِكَ . »

فَقالَتْ لَهُ « أَنِيسَةُ » : « يَسُرُّنِي أَنْ تَأْكُلَهُ أَنْتَ ،
وَسَأَنْتَظِرُ أَنا الْعُنْقُودَ التَّالِيَ »

فقالَ لها « فِكْرِى » : « إذَنْ نقسِمُهُ مُناصَفَةً بَيْننا ، نِصْفُ حَبّاتِهِ لِي ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ لكِ . »

فقالَتْ « أنِيسَةُ » : « إنَّهُ عُنْقُودٌ صَغِيرٌ ، وَلا داعِيَ لِقِسْمَتِهِ . لكَ أنْ تأكُلَهُ هَنِيئًا . »

فقالَ لها « فِكْرِى » : « أنْتِ يا أُخْتِي تمْلَئِينَ نفْسِي إعْزازًا لكِ بِما تفْعَلِينَ . وَلَيْسَتْ قِيمَةُ عَمَلِكِ فِي نُزُولِكِ عَنْ عُنْقُودِ الْعِنَبِ لِي ؛ وَلٰكِنَّ الْقِيمَةَ الْكُبْرَى هِيَ صَفاءُ الأُخُوَّةِ بَيْنَنا ، فإنَّكِ تُحِبِّينَ أخاكِ أكْثَرَ مِمّا تُحِبِّينَ نفْسَكِ . »

فشَكَرَتْ « أنِيسَةُ » لِأخِيها « فِكْرِى » أنَّهُ مَسْرُورٌ بِحُبِّها لَهُ ، مُقَدِّرٌ لِعاطِفَتِها نَحْوَهُ .

وَقالَتْ لَهُ أخِيرًا : « سأتْرُكُ لكَ الْعُنْقُودَ ، لِتَتَصَرَّفَ فِيهِ كَما تَشاءُ . »

وانْصَرَفَتْ « أنِيسَةُ » وَنَفْسُها راضِيَةٌ عَمّا صَنَعَتْ مَعَ أخِيها ، وعَمّا قالَتْهُ لَهُ .

٦ — خَواطِرُ « فِكْرى »

جَلَسَ « فِكْرى » يَتَحَدَّثُ إلَى نَفْسِهِ ، وَعَيْنُهُ عَلَى العُنْقودِ الصَّغيرِ ، أوَّلِ وَليدٍ فِي عَرِيشِ العِنَبِ الجَديدِ .

لَقَدْ كانَتْ أُمُّهُ « سَلْمَى » أوَّلَ مَنْ رَأَى العُنْقودَ ناضِجًا ، وَلَمّا قَطَفَتْهُ لَمْ تَشَأْ أنْ تَأْكُلَهُ وَتَسْتَمْتِعَ بِهِ ، فانْتَظَرَتْ حَتَّى تُفاجِئَ بِهِ أوَّلَ مَنْ يَحْضُرُ إلَى البَيْتِ .

فَلَمّا حَضَرَتْ « أنِيسَةُ » كانَتْ هِيَ الَّتِي رَأَتِ العُنْقودَ ، وَتَرَكَتْ لَها الأُمُّ حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ فِيهِ .

وَلٰكِنَّ « أنِيسَةَ » اخْتارَتْ أنْ تَسْتَبْقِيَ العُنْقودَ ؛ لِتُرِيَهُ لِأخِيها العَزِيزِ ، وَلَمْ تَذُقْ مِنْهُ حَبَّةً واحِدَةً ، وَتَرَكَتْهُ لَهُ لِيَتَصَرَّفَ فِيهِ كَما يُحِبُّ .

ماذا يَفْعَلُ « فِكْرى » ؟ حَقًّا إنَّ العُنْقودَ تَشْتَهِيهِ النَّفْسُ ، وَقَدْ ظَلَّ « فِكْرى » يَنْتَظِرُ أنْ يَنْضَجَ عِنَبُ الحَدِيقَةِ مُنْذُ أيّامٍ .

قالَ « فِكْرِي »

لِنَفْسِهِ وَالْمَنْقُودُ بَيْنَ يَدَيْهِ :

« لا أَرْضَى أَنْ أَخُصَّ

نَفْسِي بِالْعُنْقُودِ .

الأَحْسَنُ أَنْ أُفَكِّرَ

كَمَا فَكَّرَتْ أُمِّي ،

وَكَمَا فَكَّرَتْ أُخْتِي .

سَأَتَصَرَّفُ أَنا فِي هٰذا الْعُنْقُودِ تَصَرُّفًا كَرِيمًا ،

يُشْبِهُ تَصَرُّفَ أُمِّي وَأُخْتِي . »

٧ — الْعُنْقُودُ بَيْنَ يَدَىْ « سَعِيدٍ »

اِنْتَظَرَ « فِكْرِى » فَلَمْ يَقْرَبِ الْعُنْقُودَ ، حَتَّى حَضَرَ وَالِدُهُ « سَعِيدٌ » ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فِي حُجْرَتِهِ ، وَحَيَّاهُ تَحِيَّةً طَيِّبَةً ، وَقالَ لَهُ : « إِنِّى جِئْتُ إِلَيْكَ بِمُفاجَأَةٍ تَسُرُّكَ . »

فَقالَ الْوالِدُ الْعَطُوفُ :

« إِنِّى مَسْرُورٌ بِكَ ، وَبِمُفاجَآتِكَ الْحَمِيدَةِ دائِمًا ، يا بُنَيَّ . »

فَقَدَّمَ « فِكْرِى » لِوالِدِهِ الطَّبَقَ ، وَعَلَيْهِ عُنْقُودُ الْعِنَبِ ، وَقالَ لَهُ وَهُوَ يَبْتَسِمُ ابْتِسامَةً مُشْرِقَةً :

« هَلْ رَأَيْتَ عُنْقُودَ عِنَبٍ أَجْمَلَ مِنْ هٰذا الْعُنْقُودِ يا أَبِي ؟ هَلْ تُصَدِّقُ أَنِّي لَمْ أَشْتَرِهِ مِنَ السُّوقِ ، وَلَمْ يَكُنْ هَدِيَّةً لَنا مِنْ أَحَدٍ ؟

إِنَّهُ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَى حَدِيقَتِنا الصَّغِيرَةِ .

هٰذا أَوَّلُ ثَمَرَةٍ لِعَرِيشِ الْعِنَبِ ، قَطَفَتْهُ أُمِّى فِى الصَّباحِ ، وَأَعْطَتْهُ لِأُخْتِي .. وَقَدَّمَتْهُ أُخْتِي لِي .. وَأَنا أُقَدِّمُهُ لَكَ . »

فابْتَسَمَ الأبُ « سَعِيدٌ » ابْتِسامَةً هادِئَةً ، وَقالَ لَهُ :

« إنَّهُ عُنْقُودٌ كامِلٌ . لَمْ يَنْقُصْ حَبَّةً واحِدَةً !

فَلا أمُّكَ ، وَلا أخْتُكَ ، وَلا أنْتَ ،

أخَذْتُمْ مِنْهُ شَيْئاً . »

فَقالَ لَهُ « فِكْرِى » : « إِنَّكَ يا أَبِى أَحَقُّ بِهِ مِنَّا . وَسَنَنْتَظِرُ الْعَناقِيدَ الَّتِى تَنْضَجُ مِنْ بَعْدُ . . وَيَكْفِينا سُرُورًا أَنَّكَ تَسْتَمْتِعُ بِهٰذِهِ الْباكُورَةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ عَرِيشِ الْعِنَبِ . »

فَقالَ الْأَبُ « سَعِيدٌ » لِابْنِهِ : « كَثِيرًا ما اشْتَرَيْنا عِنَبًا أَنْضَجَ مِنْ هٰذا الْعُنْقُودِ ، وَلٰكِنَّنا لَمْ نَفْرَحْ بِهِ فَرَحَنا بِهٰذا الْعُنْقُودِ الصَّغِيرِ . أَتَعْرِفُ لِماذا يا بُنَىَّ ؟ »

فَأَجابَهُ « فِكْرِى » : « نَعَمْ يا أَبِى . أَعْرِفُ لماذا نَفْرَحُ بِهِ . إِنَّهُ مِنْ صُنْعِ أَيْدِينا بِفَضْلِ اللهِ . غُرِسَ فِى حَدِيقَتِنا ، وَوُلِدَ بَيْنَنا ، فَكَأَنَّهُ جُزْءٌ مِنَّا . »

فَقالَ الْأَبُ « سَعِيدٌ » : « ما أَحْسَنَ ما قُلْتَ ، وما فَهِمْتَ ! حَقًّا إِنَّ فَرَحَ الْإِنْسانِ بِما يَصْنَعُهُ بِيَدِهِ ، وَما يَتَعَهَّدُهُ بِنَفْسِهِ ، أَضْعافُ فَرَحِهِ بِما يَحْصُلُ عَلَيْهِ ، دُونَ جُهْدٍ وَلا تَعَبٍ . »

وَسَكَتَ الْأَبُ قَلِيلًا ، ثُمَّ قالَ : « شُكْرًا لَكَ . واتْرُكْنِى أَتَصَرَّفُ فِى الْعُنْقُودِ بِما أَراهُ . »

٨ — حَدِيثُ الزَّوْجَيْنِ

وَبَعْدَ ذٰلِكَ الْتَقَى الزَّوْجانِ : الْأُمُّ « سَلْمَى » والْأَبُ « سَعِيدٌ »

فَلَمَّا رَأَتْ « سَلْمَى » الطَّبَقَ بَيْنَ يَدَىْ زَوْجِها ، وَعَلَيْهِ عُنْقُودُ الْعِنَبِ ، قالَتْ :

« لَقَدْ عَرَفْتَ الْمُفاجَأَةَ قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَكَ بِها .
مَنْ أَخْبَرَكَ ؟ وَمَنْ أَحْضَرَ لَكَ الْعُنْقُودَ ؟ »

فَقالَ لَها : « الَّذِى أَخْبَرَنِى وَأَحْضَرَ الْعُنْقُودَ وَلَدُنا « فِكْرِى » . . ماذا فِى هٰذا ؟ »

فَقالَتِ الزَّوْجَةُ : « لَقَدْ أَعْطَيْتُ الْعُنْقُودَ لِابْنَتِنا « أَنِيسَةَ » ، وَلَمْ آخُذْ مِنْهُ شَيْئًا . فَلابُدَّ أَنَّها هِىَ الَّتِى أَعْطَتْهُ لِوَلَدِنا « فِكْرِى » ، دُونَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ . »

فَقالَ الْأَبُ « سَعِيدٌ » : « وَوَلَدُنا « فِكْرِى » فَعَلَ مِثْلَ ما فَعَلَتْ أُخْتُهُ . لَمْ يَأْكُلْ هُوَ مِنَ الْعُنْقُودِ شَيْئًا ، وَأَحَبَّ أَنْ يَخُصَّنِى بِهِ ، وَيَتْرُكَ لِى حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ فِيهِ . »

فَقالَتْ لَهُ الزَّوْجَةُ : « إِذَنْ هُوَ لَكَ ، بِالْهَناءِ والشِّفاءِ »

فَقالَ لَها « سَعِيدٌ » : « أَكُنْتِ تَظُنِّينَ أَنِّي سَأَرْضَى بِذٰلِكِ ؟
الحَقُّ أَنَّكِ أَوْلَى بِهِ . فَأَنْتِ الَّتِي تَبْذُلِينَ أَكْبَرَ جُهْدٍ فِي الحَدِيقَةِ ،
وَأَنْتِ أَوَّلُ مَنِ انْتَبَهَ إِلَى نُضْجِ هٰذا المُنْقُودِ اليَوْمَ .

هُوَ لَكِ إِذَنْ ، وَسَنَنْتَظِرُ العَناقِيدَ الَّتِي تَنْضَجُ بَعْدَ ذٰلِكِ .
وَيَكْفِينا فَرَحًا أَنَّ عَرِيشَ العِنَبِ قَدْ بَدَأَ يُعْطِينا ثِمارَهُ . »

فَقالَتْ « سَلْمَى » : « شُكْرًا لَكَ ، وَإِنِّي سَأَقْبَلُ مِنْكَ هٰذا
العُنْقُودَ وَلٰكِنِ اتْرُكْ لِي حُرِّيَّةَ التَّصَرُّفِ فِيهِ كَما أَرَى . »

فَقالَ لَهـــا الأَبُ « سَعِيدٌ » : « هَلْ تُبْقِينَهُ مَعَكِ ،
حَتَّى تَنْضَجَ عَناقِيدُ أُخْرَى تَكْفِينا جَمِيعًا ؟ »

قالَتِ الأُمُّ « سَلْمَى » : « لَمْ يَخْطُرْ هٰذا بِبالِي »

قالَ الأَبُ « سَعِيدٌ » : « هَلْ تُعِيدِينَ العُنْقُودَ إِلَى فَرْعِهِ
فِي العَرِيشِ ، حَتَّى تَنْضَجَ جُمْلَةٌ مِنَ العَناقِيدِ ؟ »

قالَتِ الزَّوْجَةُ ، وَهِيَ تَضْحَكُ ضِحْكَةً خَفِيفَةً :
« وَهٰذا أَيْضًا لَمْ يَخْطُرْ بِبالِي . »

٩ — حَنانُ الْأُمومَةِ

عادَ عُنْقُودُ الْعِنَبِ إِلَى الْيَدِ الَّتِي قَطَفَتْهُ : يَدِ الْأُمِّ « سَلْمَى » ؛ وَلٰكِنَّها احْتَفَظَتْ بِهِ ، وَلَمْ تَنَلْ مِنْهُ حَبَّةً واحِدَةً .

اِخْتَلَتِ الْأُمُّ بِنَفْسِها بَعْضَ الْوَقْتِ ، وَهِيَ تُفَكِّرُ فِي حِكايَةِ عُنْقُودِ الْعِنَبِ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْها .

لَقَدْ كَشَفَتْ لَها حِكايَةُ هٰذا الْعُنْقُودِ عَنْ شَيْءٍ مَلَأَ نَفْسَها سُرُورًا وانْشِراحًا . شَعَرَتْ بِالسَّعادَةِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلصَّفاءِ الَّذِي تَتَمَتَّعُ بِهِ حَقًّا أُسْرَةُ « سَعِيدٍ » .

الْأُمُّ تُعْطِي لِابْنَتِها الْعُنْقُودَ ، وابْنَتُها تُعْطِيهِ لِأَخِيها ، والْأَخُ يُعْطِيهِ لِأَبِيهِ ، والْأَبُ يُعْطِيهِ لِزَوْجَتِهِ ، لِأَنَّها كانَتْ أَوَّلَ مَنِ انْتَبَهَ إِلَى نُضْجِ الْعُنْقُودِ ، وَأَوَّلَ مَنْ قَطَفَهُ .

كُلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ يُحِبُّ الْآخَرِينَ ، وَيُراعِي شُعُورَهُمْ ، وَلا يَرْضَى أَنْ يَخُصَّ نَفْسَهُ بِعُنْقُودِ الْعِنَبِ الْجَدِيدِ

إِنَّ هٰذا الْعُنْقُودَ أَصْبَحَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ ، لِأَنَّهُ اسْتَطاعَ أَنْ يُطْلِعَ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَى حُبِّ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ .

قالَتِ الْأُمُّ لِنَفْسِها أَخِيرًا : « هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أَخُصَّ نَفْسِي بِهٰذا الْعُنْقُودِ الطَّيِّبِ الْكَرِيمِ ؟ »

١٠ — عَلَى مائِدَةِ الْأُسْرَةِ

وَفِي الْمَساءِ، جَلَسَتِ الْأُسْرَةُ إِلَى مائِدَةِ العَشاءِ ، وَبَعْدَ أَنْ تَعَشَّوْا قالَتِ الْأُمُّ « سَلْمَى » : « انْتَظِرُوا ، حَتَّى أُحْضِرَ لَكُمُ الفاكِهَةَ . »

وَانْصَرَفَتِ الْأُمُّ « سَلْمَى » ، ثُمَّ عادَتْ بِطَبَقٍ بَيْنَ يَدَيْها ، وَقَدْ بَدَتْ فِيهِ حَبّاتُ الْعِنَبِ مُتَفَرِّقَةً تَلْتَمِعُ ، وقالَتْ :

« هٰــــذِهِ الحَبّاتُ الطَّيِّبَةُ ثَمَرَةُ جُهْدِنا كُلِّنا ، فِي خِدْمَةِ عَرِيشِ العِنَبِ وَتَعَهُّدِهِ . كُلُّنا اشْتَرَكْنا فِي الْغَرْسِ ، والسَّقْيِ ، والتَّنْظِيفِ ، وانْتِظارِ الثَّمَرَةِ .

ما أَحْلَى أَنْ نَشْتَرِكَ جَمِيعًا فِي الاسْتِمْتاعِ بِأَوَّلِ الثَّمَراتِ . »

فَقالَ الأَبُ « سَعِيدٌ » : « ما أَجْمَلَ تَفْكِيرَكِ ، وَأَحْسَنَ تَدْبِيرَكِ ، أَيَّتُها الزَّوْجَةُ الْمُبارَكَةُ ، والأُمُّ الحَنُونُ . »

وَأَقْبَلَتْ « أَنِيسَةُ » وَ « فِكْرِي » عَلَى أُمِّهِما يُقَبِّلانِها ، واشْتَرَكُوا جَمِيعًا فِي أَكْلِ حَبّاتِ الْعِنَبِ ، فَكانَتْ أَحْلَى عِنَبٍ أَكَلُوهُ فِي حَياتِهِمُ السَّعِيدَةِ ؟

(يُجابُ مِمّا فى هذه الحِكايةِ عن الأسئلة الآتيةِ)

١ـ مِمَّ كان يتألَّف بيْتُ «سعيدٍ» ؟ وماذا كانت مُهِمَّةُ ربَّةِ البَيْتِ ؟

٢ـ ماذا فعل الزَّوجان لِكى تتوافَرَ المُتعة والسُّرور ؟

ومن الذين كانوا يشتركون فى رعاية الحديقة وتنمِيَتِها ؟

٣ـ ماذا أنشأت الأمّ فى الحديقةِ ؟ وماذا أعدَّت من مُفاجأة ؟

٤ـ ماذا قدَّمت «سَلْمَى» لابنتِها ؟ وماذا كان شُعورُ «أنيسةَ» ؟

٥ـ لماذا دهِشَ «فِكْرى» ؟ وماذا قدَّمت له أُخْتُه ؟

وماذا دار بيْنه وبيْنها من حِوارٍ ؟

٦ـ ماذا دار فى رأس «فِكْرى» ؟ وعلى أىّ شىء استقرَّ رأيُه ؟

٧ـ ماذا قدَّم «فِكرى» لأبيه ؟ وبماذا أخبره ؟

وماذا عرض عليه ؟ ولماذا كان فَرَحُ الأبِ وابْنِه ؟

٨ ـ ماذا دار بيْن الوالِدين من حوار ؟

وإلى أىّ شىء انتهى الحِوارُ بينهما ؟

٩ـ لماذا شعرت الأمّ بالسَّعادة ؟ وكيف كان لِعُنقودِ العِنَبِ شأنٌ ؟

١٠ـ ماذا قدَّمت الأمّ على مائدةِ الأسرةِ ؟

وكيف كان تصرّفُها فى عُنقودِ العِنب ؟

(رقم الإيداع بدار الكتب ٨٧/٩٠٨٠)

حديقة الحيوان بقلم رشاد كيلانى

مطبعة الكيلانى بالقاهرة
٢٢ شارع غيط العدة - باب الخلق